DOI: 10.33193/JALHSS.51.2020.60
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (51) Abril 2020
العدد (51) ابريل 2020

الغرابة في شخصيات رواية عرس الزين للكاتب الطيب الصالح

الدكتور فتح الرحمن محمد أحمد الجعلي
أستاذ الأدب والنقد المساعد
كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية ـ جامعة القصيم – المملكة العربية السعودية
الايميل:ahedfath50@yahoo.com

الملخص

دار البحث حول الغرابة في شخصيات رواية (عرس الزين) -أولى روايات الكاتب السوداني الطيب صالح- منطلقاً من كون الغرابة تعني : غير المألوف، وقد هدف البحث لمعرفة كيفية معالجة المؤلف لشخصيات الرواية، ثمّ معرفة الغرابة فيها، والمؤثرات التي أسهمت في ذلك، فاتخذ الباحث في دراسته المنهج الوصفي التحليلي منهجا رئيساً ، ثم استعان بالمنهج الاجتماعي لارتباط الموضوع بموضوعات اجتماعية، فدرس الظاهرة من خلال المجتمع الروائي في قرية الزين، ومجتمع المؤلف الواقعي الذي أخذ منه ثقافته؛ لما له من أثر في تصور المؤلف لشخصيات الرواية، فوجد الغرابة في شخصية الزين الذي يمثل بطل الرواية، فقد كان غريباً منذ مولده، ولازمه تكوينٌ جسديّ غريب ، وتصرفات غريبة، الأمر الذي جعله أغرب الشخصيّات، ثمّ الشيخ الصوفيّ الحنين الذي تظهر غرابته من خلال التصوّر الصوفيّ لشخصيّة الولي الصالح وما يتبعها من كرامات وخوارق عادات، ونعمة بنت عم الزين وزوجته بنهاية الرواية، التي مثّلت غرابة فتاة متمردة على تقاليد مجتمعها ببعد دينيّ ، وسيف الدين الذي كان غريباً بفسقه، ثم غريباً في توبته، وهذه الشخصيّات جميعها، أظهر المؤلّف غرابتها من خلال الأحداث، أو من خلال الوصف المباشر، وقد كانت للعوامل البيئيّة المتمثلة في المعتقدات الدينية، والتصورات الصوفية ،والقيم الاجتماعية ،والأساطير الشعبية، أثر في ذلك. وقد أوصى الباحث بمزيد من الدراسات عن الغرابة في شخصيات وأحداث روايات الطيب صالح..

الكلمات المفتاحية: الطيب الصالح، عرس الزين، الرواية السودانية.

DOI: 10.33193/JALHSS.51.2020.60
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (51) Abril 2020
العدد (51) ابريل 2020

Strangeness in the Characters of the novel of Al-Taib Al-Salih "Al-Zain Wedding"

Dr. Fath Al-Rahman Muhammad Ahmad Al-Jali
Professor of literature and associate criticism
College of Arabic Language and Social Studies - Qassim University - KSA
Email: ahedfath50@yahoo.com

ABSTRACT

This study revolves around the concept of strangeness in the Zain's wedding novel (Zain is the protagonist, and Zain wedding is the first novel for the Sudanese writer Tayeb Saleh). It deals with the strangeness with the sense of uncommon. It aims at explaining the strange characters in the novel; showing how the author deals with the novel characters with understanding to sense of strangeness among them; and explaining the influences contributed to this dealing. Due the association of this study with the novel author society, so, it uses the descriptive and social analysis approaches. Hence, it analyses the novelist society and the author's original community or real life society.

It finds that Zain was born with these strange characters i.e. physically; he grows with this strange body with strange attitudes that makes him the strangest personality of the Novel.

Alhaneen is a Sufi Sheikh who appears with strange character, his strangeness appears through the mystical conception of dignity. Nima is Zain's cousin and his wife, who represents the strangeness of a rebellious girl against her community traditions or its religious dimensions at the end of the novel. Seifuddin was strange in his debauchery and his repentance. The author shows the strangeness on all of these characters through events or through direct descriptions.

It is obviously that the author has influenced by the environmental factors such as religious beliefs, Sufi perceptions, social values, and popular myths. Finally, for further studies the researcher recommends conducting some studies on the strangeness in the characters and events of Tayeb Saleh novels.

Keywords: Sudanese novel, Al-Taib Al-Salih, Al-Zain Wedding.

DOI: 10.33193/JALHSS.51.2020.60
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (51) Abril 2020
العدد (51) ابريل 2020

مقدمة:

عرّف الدكتور عبد الحميد شاكر (الغرابة)، فقال: "الغرابة ضد الألفة، نوع من القلق المقيم، حالة بين الحياة والموت، التباس بين الوعي وغياب الوعي، حضور خاص للماضي في الحاضر، وحضور خاص للآخر في الذات، قلق غير مستقر بين الزمان والمكان، إقامة عند التخوم، تخوم الوعي الوجداني، إفاقة ليست كاملة، حالة حدودية أو بينيّة تقع بين انفعالات الخوف والرهبة والتشويق وحب الاستطلاع والمتعة والطمأنينة والتذكّر والرعب والتخيّل والوحشة والالتباس والفقدان لليقين"[1]، ولكنّه كان واضحاً في الاعتراف بعدم قدرته على تعريفها، فقال : "مازال الغموض يلف معنى الغرابة. أدرك ذلك جيّداً"[2]، والحقيقة أنّه محق في وصف مصطلح الغرابة بالغموض؛ فالترجمات لهذا المصطلح جعلته غير واضح للدارسين، فقد ترجم بعضهم الكلمة الإنجليزية (Uncanny) لمصطلحات مثل: الغرابة الموحشة، والغرابة المحيّرة ، والغرابة المقلقة ، والغرائبية[3]، وجميعها يوجه المتلقي لنوع من الغرابة، بينما المراد معرفة الغرابة نفسها قبل معرفة أنواعها، كما أنّ بعض الكتاب يخلط بين الغرابة والعجائبية[4]، ولكنّ الناقد المغربي عبد الفتاح كيليطو لخصها من خلال تعريف مصطلح الغريب، فقال: "ما يأتي خارج منطقة الألفة ويسترعي النظر بوجوده خارج مقره"[5]، ولعل في هذا التعريف المعنى المناسب للغرابة التي يقصدها الباحث؛ فغير المألوف من الموضوعات التي تلفت نظر قارئ رواية الكاتب السوداني الطيب صالح (عرس الزين)؛ ذلكم أنّ بعض أحداث هذه الرواية وبعض شخصياتها جاءت غريبة خارجة عن المألوف.

إنّ الغرابة من الظواهر التي تحكمها النسبية، فربما كان المألوف في مجتمع ما، غير مألوف في مجتمع آخر، وربما غير المألوف في مجتمع ما كان مألوفاً في مجتمع آخر، فالأمر موقوف على المتلقي في المجتمع المعين، فالشعور بالغرابة "هو علة التأثير الذي ينتاب المتلقي"[6]، وهي إنما تتجلّى لمتلقٍ تعود على أشياء معينة فإذا به أمام أشياء مخالفة لها، ولذا فإنّ الباحث ينظر لها من خلال مجتمع الرواية لا مجتمع القارئ، فبعض ما كان غريبا في مجتمع الرواية، قد يبدو غير غريب في مجتمعات أخرى، ولكنّ ذلك لا يمنع تتتبع جذورها خارجه، إذ يتحول الأمر إلى مجتمع الكاتب الذي أخذ منه ثقافته ولغته وخياله، وهذا جزء مما تهدف الدراسة للنظر فيه.

تأتي أهمية هذه الدراسة من تناولها ظاهرة في روايات الطيب صالح لم أجد دراسة قدمت فيها من قبل؛ فالدراسات التي كتبت عن الطيب صالح درست أدبه في جوانب أخرى، حتى (موسم الهجرة إلى الشمال) - روايته التي ذاع صيتها- دُرست في جوانب كثيرة ولم تدرس فيها - حسب علمي _ ظاهرة الغرابة، كما أنّ الغرابة نفسها من الموضوعات التي تحتاج لمزيد من الدراسات التي تعالجها، فهي ظاهرة جديرة بالدراسة، والدراسات الأدبية فيها- على المستوى العربي – قليلة[7]، ولذا تهدف هذه الدراسة لمعرفتها في رواية (عرس الزين) من خلال دراسة الشخصيات، وتحليلها تحليلا نقديا يبيّن الظاهرة.

وللوصول لهذه الأهداف اتخذ الباحث منهجاً وصفياً تحليلياً، مستعيناً بالمنهج الاجتماعي ، فهذه الدراسة من الدراسات التي تتضح بالوصف والتحليل، ولا بُدَّ من دراسة المؤلف وبيئته ثم دراسة النّص الأدبيّ، ثم تحليله في ضوء المؤثرات المحيطة به سعياً للوصول لمفاتح تسهم في معرفة قيمة العمل أدبياً، والمؤثرات التي أسهمت فيه، وقد افترضت الدراسة أن التصورات الصوفية والأساطير الشعبية والمحافظة الدينية والاجتماعية، عوامل أسهمت في إظهار الغرابة في شخصيات الرواية، فالغموض الذي يبدو في بعضها، وكثير من التصرفات غير الطبعية، هي جزء من تصورات الأسرار عند المتصوفة التي تغذيها الأساطير الشعبية، والخروج عن المألوف في الشخصيات النسائية يبدو واضحاً إذا ما ربط بمظاهر اجتماعية محافظة ذات بعد ديني في مجتمع قروي.

وقد جاءت تساؤلات البحث على النحو الآتي:

- كيف عالج الطيب صالح أحداث وشخصيات الرواية؟
- ما الغرابة في شخصيات الرواية؟
- ما المؤثرات الثقافية التي أسهمت في بناء الشخصيات الغريبة في الرواية؟

وقد افترض أنّ المؤلف عالج الشخصيات من خلال الموروث البيئي المحيط به، فظهر فيها الغريب وغير الغريب، وقد تمثلت الغرابة في بعضها من خلال خروجها عن المألوف في مجتمعها، الذي تحكمه الثقافة الدينية والمحافظة الاجتماعية.

وللوصول لكل ذلك رأى الباحث إبراز ملامح من حياة المؤلف، وإلقاء الضوء على رواية عرس الزين، ثم دراسة الغرابة في شخصياتها.

DOI: 10.33193/JALHSS.51.2020.60
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (51) Abril 2020
العدد (51) ابريل 2020

المبحث الأول
لمحات من حياة الطيب صالح وأدبه

الطيب صالح أحد الروائيين العرب الذين شغلوا الساحة الأدبية في فترة ما بعد منتصف القرن العشرين، وأوائل القرن الحادي والعشرين، حيث برز اسمه مصبوغا بصفة العالمية، واشتهر من خلال روايته (موسم الهجرة إلى الشمال) التي ترجمت لعدة لغات أجنبية، تقول سيرته: إنه ولد بقرية كرمكول (إحدى قرى شمال السودان)، ودرس المرحلة الابتدائية بها، ثم غادرها لدراسة المرحلة الوسطى بمدينة بورتسودان (الميناء السوداني الأكبر على البحر الأحمر)، وعاد منها إلى الخرطوم ليدرس الثانوية بمدرسة وادي سيدنا، ثم التحق بجامعة الخرطوم التي لم يكمل الدراسة بها وغادرها ليعمل مدرساً بمدارس رفاعة بوسط السودان، ثم بمعهد بخت الرضا بمنطقة النيل الأبيض، وسط السودان أيضا، وبعدها غادر السودان ليعمل مذيعاً بهيئة الإذاعة البريطانية بلندن في العام 1953م[8]، حيث بدأ ارتباطه بالغرب الذي استمر حتى وفاته في الثامن من فبراير عام 2009م[9].

وهذه الرحلة الحياتية التي مررنا عليها –باختصار- توضّح مرتكزين أساسيين في شخصية الطيب صالح وأدبه، أولهما: الطيب صالح في بيئته السودانية، فهو ابن الجزء الشمالي من السودان الذي كانت تسيطر عليه دولة المقرة المسيحية قبل دخول الإسلام، ثم صار المدخل الأول للحضارة الإسلامية العربية للسودان في العام الحادي والثلاثين للهجرة [10]، ولذلك يعد هذا الإقليم من الأقاليم السودانية الغنية بالآثار النوبية القديمة، والحضارة الإسلامية، والموروث الثقافي والأدبي العربي، وهذا مرتكز مهم في بناء شخصية الطيب صالح، زاده بحركته دارساً وعاملاً في شرق السودان ووسطه، مما أتاح له فرصة الإلمام بثقافات سودانية عديدة، فهذه المناطق تنتشر فيها قبائل عربية، وأخرى مزيج من العرب والقبائل الإفريقية، وأخرى إفريقية خالصة، لكنّها تتفق في أنَّ أهلها جميعاً يتحدثون العربية، وهم مسلمون تنتشر بينهم الطرق الصوفية، كما توجد بينهم بعض الأقليات المسيحية التي تعيش معهم في سِلم وتواصل اجتماعي.

أمّا المرتكز الثاني فهو، عيشه بالغرب، فقد عاش الطيب صالح معظم حياته ببريطانيا وعمل هناك وتزوج امرأة بريطانية أنجب منها ثلاث بنات[11]، وهذا الأمر أسهم بصورة مباشرة في تكوينه الأدبي ومعرفته بمجتمع الغرب وثقافته، وأثر في تناوله بعض الموضوعات، وبنائه لبعض الشخصيات.

لقد أسهمت ثقافته السودانية في تغذية قاموسه بلغة أهل تلك المناطق التي عاش ودرس وعمل بها، وغذت خياله بقصصهم وأساطيرهم، وأمزجتهم الأدبية والفنية، الأمر الذي انعكس في رواياته فجاءت حاملة لصورة القرية السودانية التي يعدها [12]بعض الباحثين نموذجا صغيرا للسودان[13]، كما جاءت لغته مزيجاً من الفصحى والعامية، فمثّلت اتجاها أصبح سمة غالبة في القصّة السودانية حتى غدا ظاهرة تستوقف النقاد، حيث نجد الدكتور طه وادي يقف عندها فيقول: "القصّة السودانيّة تغوص في أرض الواقع المحلي؛ بل تحسّ أنّ كتّابها يتطاولون زهوًا، وهم يصورون واقعهم المحلي بعاداته ومعتقداته وخرافاته وعلاقاته الأقرب إلى الفطرية البدائية، ولغته المحلية الدارجة الممعنة في مفردات اللهجة الإقليمية كما ينطقها أبناء بلدهم"[14]، وهذه الظاهرة مقروءة مع عيش الطيب صالح بالغرب زمنا طويلا، تمثل ظاهرة إيجابية في أدبه؛ حيث يعني اهتمامُه بصورة القرية ولغتها المحلية ارتباطَه بالأصول.

وارتباط الطيب صالح بالقرية جعله ينقلها من الواقع إلى عالمه الأدبي، فعاش حياتها مرة أخرى من خلال شخصياتها وأحداثها، فصنع قرية ممتدة عبر رواياته لا تنتهي في رواية واحدة وإنما تظهر في رواياته كلّها، وكثير من قصصه، فالقارئ لرواية عرس الزين – مثلا - لن يجد اسم القرية، فإذا ما قرأ رواية بندرشاه - ضو البيت، ظهرت له بعض شخصيات عرس الزين، ذلكم أنّ تلك الشخصيات تظهر متطورة في رواية بندرشاه - ضو البيت، فسعيد البوم يصبح سعيد عشا البايتات، والزين يصبح من أعيان البلد، وسيف الدين يصبح ذا موقع اجتماعي ويوشك أن يصبح نائباً برلمانياً[15]، ثم ما ينفك أن يعلم أنه في قرية (ود حامد)[16]، قرية عرس الزين، ما يشير لوحدة المكان عند الكاتب، ورسوخ القرية وصورها في دواخله.

أما عيشه في الغرب فقد أفاد منه كثيراً، حيث وفّر له معرفة البيئة الغربية في زمن ينفتح فيه الشرق على الغرب علمياً وأدبياً، وعرفه بالبيئة الأوربية في واحد من أهم مجتمعاتها، مما أتاح له معرفة بكتّاب الغرب الذين اهتموا بقضايا اجتماعية معينة انعكست في رواياته، شأنه شأن كثير من الروائيين العرب الذين احتكوا بالآداب الغربية

DOI: 10.33193/JALHSS.51.2020.60
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (51) Abril 2020
العدد (51) ابريل 2020

فأفادوا منها في جوانب كثيرة " كما نقلوا عن القصّة الغربية الاهتمام بالطبقة الوسطى، والطبقات الشعبية، وأهل الريف، ومشكلات المرأة، تأثراً بما كتبه إميل زولا، وموباسان، فضلاً عن الاهتمام بالطابع المحلي"[17]، وأفاد منه -أيضا - في بناء شخصياته، مثل: مصطفى سعيد الذي يجسد في شخصيته صراعًا ثقافيًّا كبيرًا تظهره المفارقات بين مجتمع مصطفى سعيد القديم في أوربا، ومجتمعه الأخير في قرية صغيرة في شمال السودان[18]، وقد اعترف الطيب صالح أنّه تأثّر في روايته موسم الهجرة إلى الشمال بكتابات فرويد[19]، هذا غير ما اكتسبه في جانب التنوع الحضاري واللغة وغيرهما مما يكتسب بالمعايشة، كذلك عيشه هناك أعطاه مكانة جيّدة عند المتلقين، فقد تلقى القراء رواياته المرتبطة بالقرية بروح الإعجاب لكونه ظل مرتبطاً بجذوره الاجتماعية وثقافته المحلية، وقد بدأت روايته عرس الزين بناء هذه الصورة، حيث وجد القارئ في الرواية ارتباطه بالقرية، واهتمامه بصورها، كما وجد فيها مخزونه الثقافي القديم، بعد تكوينه الحديث، فلما جاءت روايته (موسم الهجرة إلى الشمال) وجدت الطريق ممهداً لتصل للقارئ مرسخةً في الأذهان صورة القرية ومطوّرةً لها؛ فدفعت بصاحبها للشهرة، وتوجته عبقرياً للرواية العربية؛ فهي حينما ظهرت أول مرة كانت مثار دهشة العديد من النقاد المتميزين، أمثال: رجاء النقاش، وعلي الراعي، ثم تبعهم مجموعة من النقاد، كتبوا مقالات نقدية حولها جمعت في كتاب يصف الطيب صالح بكونه (عبقري الرواية العربية المعاصرة)[20]، فارتبط به هذا اللقب ولازمه.

والقصّ موهبة متقنة عند الطيب صالح، يجيده بنَفَس روائي طويل أو بنَفَس قصصي قصير، فقد تبعت رواياته مجموعته القصصية (دومة ود حامد) التي يجد فيها القارئ هذه السمة، ويرى فيها تجليات ثقافة القرية وأثر التصوف واضحاً، فهذه قرية قامت على أثر الرجل الصالح ود حامد الذي وصلها وحل بها بأمر ناداه: "أن افرش مصلاتك على الماء فإذا وقفت بك على الشاطئ فانزل"[21].

إنّ هذا التنوع الثقافي والاختلافات البيئية، عوامل جعلت أدب الطيب صالح مادة تتجلّى فيها صراعات كثيرة، جسدها الكاتب عبر رموز مختلفة، فنجده حينما يتطرق لصراع القديم والحديث – مثلا - يتخذ له رمزاً (دومة ود حامد) فيظهر الرفض الشديد للتجديد ومواكبة التطور المادي بسبب الحرص على الموروث الاجتماعي القديم المحروس بالاعتقادات والتقاليد، وما ينفك يصل لرؤيته الوفاقية بين الطرفين المتصارعين، فيقول: "لن تكون ثمة ضرورة لقطع الدومة، ليس ثمة داع لإزالة الضريح، الأمر الذي فات على هؤلاء أنّ المكان يتسع لكلّ هذه الأشياء، يتسع للدومة والضريح ومكنة الماء، ومحطة الباخرة"[22]، كما يجسّد الصراع بين الشرق والغرب في شخصية مصطفى سعيد ويجعل منه رمزاً لمثقف عاش البيئتين، ويحمل الحضارتين، في صورة تشبه حياته، حتى ذهب بعض النقاد إلى أنّ مصطفى سعيد يمثل (اللا واعي) في شخصية الطيب صالح[23].

والطيب كاتب صحفي ظل يكتب بالصفحة الأخيرة لمجلة (المجلة) مقالاً دورياً بعنوان:(نحو أفق بعيد) طيلة تسعينات القرن الماضي، وقد جمع تلك المقالات في عدد من الكتب تحمل اسم (مختارات)، كان أولها صدوراً (منسي إنسان نادر على طريقته).[24]

إنّ الطيب صالح من الشخصيات التي لفتت نظر كثير ممن عرفوه، فكتبوا عنه معبرين عن صفاته الإنسانية وتواضعه، وثقافته متعددة المشارب، يقول عنه الأستاذ أحمد سعيد محمدية في مقدمة الكتاب الذي ضم أعماله الكاملة: "رأيت فيه القدرة الخارقة، والاستبصار، والنفاذ إلى أدق الأمور-وهذه ملكة فيه- وأدركت أنه لم يعتمد على هذه الموهبة وحسب؛ بل شحذها شحذاً جاداً بالثقافة العربية فتزود منها كل ما وسعته المقدرة على التزود، فقرأ المعاصرين واستوعب أعمالهم، وغاص في التراث فاستلهم روحه، وتسلّح بمعرفة شواهده، وعايش الثقافة الغربية فكراً مكتوباً، فقرأ أعمال الكلاسيكيين والمعاصرين الأوروبيين، وعاش الحضارة الأوروبية أنماطاً وسلوكاً وطريقة حياة ومنهج تفكير".[25]

DOI: 10.33193/JALHSS.51.2020.60
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (51) Abril 2020
العدد (51) ابريل 2020

المبحث الثاني
رواية عرس الزين

هي أولى روايات الطيب صالح، وقد نشرت – بدايةً – في مجلة (حوار) التي يرأس تحريرها الشاعر الفلسطيني توفيق صايغ في العام 1966م، ثم نشرت حلقات بمجلة الإذاعة والتلفزيون المصرية التي يرأسها محمود سالم في العام نفسه،[26] ثم نشرت كتاباً، وهي رواية مليئة بالأحداث، تتداخل أحداثها بسبب الوحدة الرابطة بينها زماناً ومكاناً، وتدور حول الزين ومجتمعه المنحصر في قرية صغيرة من قرى شمال السودان، تقع بالقرب من مدينة (مروي)، وقد جاءت الرواية مصورة مجتمع تلك القرية بتفاصيله، في تمدد أدبي استوعب أحداثاً جانبية إلى جانب الحدث الرئيس (عرس الزين)، أتى معظمها داعماً لهذا الحدث، فعرس الزين لم يكن حدثاً طبعياً يمكن أن يصل إليه الكاتب دون دعمه بأحداث أخرى، وقد بدأت الأحداث الداعمة بميلاد الزين وما تبعه من حكايات على لسان أمه، فهي التي مهدت لتصور شخصيته بطلاً للرواية منذ مولده، وأشاعت أنّ ابنها وليّ من أولياء الله الصالحين[27]، ثمّ جاءت أحداث حول صلة الزين بالحنين الرجل الصالح الذي دعم الاعتقاد بصلاح الزين، فالحنين كان محباً للزين ويطلق عليه لقب (المبروك) فصبغ عليه البركة في مجتمع يؤمن بصلاح الحنين وبركته، إذ كان رجلاً منقطعاً للعبادة، ويشهد له الناس بكرامات تؤكد تصورهم أنّه من أولياء الله الصالحين[28]، وهذه الصلة خدمت أحداثها صورة الزين في أذهان مجتمع الرواية.

ويظل ما يروى عن الحنين مستمراً على المنوال الداعم لشخصية الزين حتى نهاية الرواية، حيث يفتقد الناس الزين يوم عرسه فيجدونه قد ذهب لقبر شيخه الحنين وجلس عنده باكياً يردد: "أبونا الحنين إن كان ما مات كان حضر العرس"[29].

وثمة أحداث متعلقة بسيف الدين، تبدأ بنشأته وفسقه، وتمر بغضب والده عليه حتى موته، ثم تَحولِ شخصيته في النهاية لرجل متدين عابد[30].

وتبرز أحداث متعلقة بنعمة بنت عم الزين، تمهد لدورها في عرسه، فمعظم الأحداث المتعلقة بها تدور حول رفضها الزواج من كلّ من تقدَّم خاطباً إياها، حتى إدريس الشاب المدرس دمث الأخلاق الذي ينتمي لأسرة ميسورة الحال وطيبة الأخلاق رفضت الزواج منه[31]، وهذا الرفض المكرور يصل بنا لزواجها من الزين .

ويصطحب المؤلف أحداثاً ثانوية تصور مجتمع قرية الزين، يملؤها بحوارات معبرة عنه، حيث تظهر أحداث ترد في مجلس محجوب وفريقه، فهؤلاء يصنعون كثيراً من الأحداث، ويمثل مجلسهم ملتقى الأخبار التي تنجم عن أحداث مضت في مجتمع القرية أو أخرى قادمة،[32] أمّا مجالس النساء فكانت تقوم بأدوار كبيرة في الرواية، فهي محرك للأحداث، ومذيعة لأخبارها، وقد ابتدأ المؤلف بها الرواية حيث كانت حليمة بائعة اللبن أول من حمل خبر عرس الزين لآمنة[33]، وكذلك ظلت مجالس النساء مصدراً للأحداث والأخبار لا سيما المتعلقة بالزين.

والرواية تحتوي على أحداث كثيرة متباينة، استطاع المؤلف ربطها بحدثه الرئيس (عرس الزين)، وتوجد بها ثنائيات تمثل صراعات اجتماعية تظهر في أحداث مختلفة، منها صراع الموت والحياة الذي يرمز له بصلة أهل القرية بالإمام، الذي ارتبط في أذهانهم بالموت والآخرة "فعلق على شخصه في أذهانهم شيء قديم كئيب مثل بيت العنكبوت"[34]، كما يوجد صراع حول التدين نفسه؛ فالكاتب يصوّر شخصية الإمام شخصية غير محبوبة، ومحتقرة من أهل القرية، وغير منتجة فهو يعتمد على الهبات؛ بل ويصوّره خارجاً عن ضوابط الدين، فحينما رقصت (سلامة)، ونظر إليها ثم عاد "بوجهه إلى محدثه، كانت عيناه مربدتين مثل الماء العكر"[35]، وتقابل هذه الصورة صورة الشيخ الحنين الرجل الصوفي الصالح الزاهد الذي تحل به البركات، ومن بين الصورتين ينتصر الكاتب للتدين على النسق الصوفي.

ويظهر صراع بين تيار الإمام وتيار يمثله إبراهيم ود طه، ذلك الرجل السبعيني الذي "لا يصلي ولا يصوم ولا يزكّي ولا يعترف بوجود الإمام"[36]، وهو تيار تظهر في مكوناته مجموعة من "المتعلمين الذين قرأوا أو سمعوا بالمادية الجدلية"[37]، وكأنمّا يشير الكاتب للصراع الموجود في المجتمع السياسي السوداني المرموز له بصراع اليمين واليسار.

لقد بُنيت الرواية على زمن يتحرك بين الحاضر والماضي، ومكان غير محدد، فهي في قرية من القرى المجاورة لمدينة مروي، يمكن تصورها من خلال وصف الكاتب، فهي تقع على إحدى ضفاف النيل، سكانها مزارعون، يهتمون بالزراعة ويرتبطون بالأرض، ومجتمعها مغلق، تسري فيه الأخبار بسرعة.

DOI: 10.33193/JALHSS.51.2020.60
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (51) Abril 2020
العدد (51) ابريل 2020

وأهل قرية الزين مؤمنون بدينهم، منطلقاتهم صوفية، فهم يؤمنون بالكرامات، وخوارق العادات، تربطهم صلات قوية، قوامها القرابة الأسرية، والقرب المكاني والمهني، ويبرز بينهم الشخص الخارج عن المألوف فيحفظون كل ما يحدث منه، ويتداولونه في مجالسهم على سبيل الأنس، أو النقد الاجتماعي.

لقد اتخذ المؤلف لغة مزيجاً من الفصحى والعامية السودانية، فالتزم الفصحى في سرده الوصفي، بينما اعتمد العامية السودانية في حوارات الرواية، ولعل ذلك بسبب حرصه على إضفاء صورة واقعية على روايته، وقد استخدم تشبيهات كثيرة لشرح صور معينة، فضحك الزين عنده شبيه بنهيق الحمر[38]، والثور الجامح الذي أمسكه الزين من قرنيه ورفعه من على الأرض كأنه "حزمة قش"[39]، وشجرة السنط التي اقتلعها الزين من جذورها كأنها "عود ذرة"[40] والضوء (ينزلق) كما ينزلق الرداء الأحمر الحريري عن منكب الرجل[41] والحكومة يشبهها أهل القرية بالحمار الحرون[42]، وهكذا تتوالى التشبيهات لترسم صوراً تقرّب القارئ مما يريده الكاتب، وهذا أمر ربما يكون محموداً أسلوباً، ولكن الإكثار منه قد يحد خيال المتلقي، فما يرسمه المؤلف –وصفاً- يمكن أن يغني عن كثرة التشبيهات.

وفي الرواية تعبيرات مباشرة توجه القارئ نحو الغرابة، ترد على لسان المؤلف أو على لسان راوٍ من رواتها، فنجده يقول: "كانت معجزة سيف الدين بداية لأشياء غريبة تواردت على البلد في ذاك العام"[43]، ويقول :"بعد ذلك توالت الخوارق معجزة تلو معجزة بشكل يأخذ اللب"[44]، ويقول - على لسان عبد الحفيظ لمحجوب-: "معجزة يا زول ما في أدنى شك"[45]، وهكذا تتكرر مثل هذه التعبيرات المؤطرة للقارئ، التي يرى الباحث أنّه كان من المستحسن الاستغناء عن كثير منها، ليصل المتلقي للمراد بفهم غير موجه، فالبناء الفني للرواية- أحيانا - يكون أجود إذا ترك المؤلف مساحات يملؤها المتلقي، فللصمت وظيفتان: إبلاغية وتعبيرية[46]، لو استخدمهما الكاتب - في بعض المواضع- لأشرك المتلقي في بناء النص، وحقق درجة من متعة التلقي.

ويلحظ أنّ الكاتب لم يُعقّد حبكة الرواية، حتى زواج الزين من نعمة الذي يمثل نهاية الأحداث وقمة الحبكة، وصل إليه في أول حدث في الرواية، ولم يترك للقارئ مساحة تشوقه للإجابة عن: ماذا سيحدث؟، كما أنه ساق الأحداث حول نعمة - منذ البداية - إلى اتجاه زواجها من الزين، فأجاب عن كثير مما يشوق المتلقي للنّهاية.

ولعلّ ما يبدو من تشتت في أحداث الرواية؛ بسبب نشرها أول مرة، فقد نشرت حلقات بمجلة، والكاتب لمّا يزل في بداية طريقه الروائي، أو ربما لأنّه عمد إلى جعلها صالحة للعمل الدرامي، وهذا ما ذهب له الدكتور محمد حسن عبد الله فقال: " لم تعد (عرس الزين) انجازاً فنياً على الرغم من طرافة النموذج، وعلى الرغم من استخدام شيء من حسن التخطيط أو التدبير في تقديم الشخصية، وتقطيع المادة الروائية.

البدائية السينمائية واضحة فخبر عرس الزين تناقلته ألسنة متعددة في مواقع مختلفة في وقت واحد، وقد أصبح هذا من وسائل الدراما التلفازية بصفة خاصة"[47].

أمّا شخصيات الرواية فكثيرة لكنّ أهمها الزين ، ونعمة ابنة عمه وزوجته لاحقا، والخزين الرجل الصالح، وسيف الدين، ثم شخصيات ثانوية مثل: حاج إبراهيم أبو نعمة، والعمدة، والناظر، والإمام، وفريق محجوب: أحمد إسماعيل، والطاهر ود الرواسي، وعبد الحفيظ، وحمد ود الريس، وسعيد، و"هؤلاء الرجال كانوا أصحاب النفوذ الفعلي في البلد"[48]، وأخرى نسائية مثل: حليمة بائعة اللبن، وآمنة أم نعمة.

المبحث الثالث
الغرابة في شخصيات الرواية

الشخصية عنصر أساس في بناء الرواية يمثّل رمزاً يعرض من خلاله الراوي ما يريد، فهي "التي تقوم بالأحداث، وهي المحور الذي تدور حوله بقية العناصر وتستقطب جلّ الاهتمام، ولو توقفنا عند الأهمية التي تكتسبها بعض العناصر الأخرى: البيئة، الحبكة الفنيّة، الأسلوب، فسنجد أنّها ترجع إلى ارتباط تلك العناصر بالشخصيّة"[49]، وقد جاءت شخصيّات (عرس الزين) على هذا النسق المطلوب في بناء الرواية، ومثّلت الغريب من الشخصيّات، وغير الغريب، وفي غرابتها النوعان من الغرابة: غرابة المألوف وغرابة غير المألوف.[50]

إنّ أولى الشخصيّات ذات الغرابة التي نجدها في الرواية، شخصيّة الزين (بطل الرواية)الذي اقترن اسمه باسمها، وتظهر من خلال وصفه الجسدي وصفاته وسلوكه، يقول الراوي: "يولد الأطفال فيستقبلون الحياة

DOI: 10.33193/JALHSS.51.2020.60
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (51) Abril 2020
العدد (51) ابريل 2020

بالصريخ، هذا هو المعروف، ولكن يروى أنّ الزين -والعهدة على أمه والنساء اللائي حضرن ولادتها- أول ما مسّ الأرض انفجر ضاحكاً، وظلّ هكذا طول حياته، كبر وليس في فمه غير سنين واحدة في فكه الأعلى والأخرى في فكه الأسفل، وأمه تقول: إنّ فمه كان مليئاً بأسنان كاللؤلؤ، ولمّا كان في السادسة ذهبت به يوماً لزيارة قريبات لها فمرا - عند مغيب الشمس- على خرابة يشاع أنّها مسكونة، وفجأة تسمّر الزين مكانه وأخذ يرتجف كمن به حمى، ثم خرج وبعدها لزم الفراش أياماً، ولما قام من مرضه كانت أسنانه جميعها قد سقطت إلّا واحدة في فكه الأعلى وأخرى في فكه الأسفل".[51]

وواضح أنَّ الغرابة بدأت مع الزين منذ ميلاده حيث خالف طباع الأطفال حينما يأتون للحياة؛ فهو لم يصرخ باكياً وإنّما جاء ضاحكاً. ولغرابة الأمر يتخلى الراوي عن مسؤوليته تجاه الحدث مستترا بالإحالة إلى أنّ "العهدة على أمه والنساء اللائي حضرن ولادتها."

ووجه الغرابة الذي دفع الكاتب لهذا موروث ثقافي يقرّ أنَّ الأطفال يولدون وهم يبكون -كما وضّح الراوي- فما شأن طفل ولد ضاحكاً؟

ثم ما تنفك الغرابة تسير معه فيحدث حدث غريب يحوّل صورته ويهيئ المجتمع لشخصيّة أخرى؛ فأمه تشير إلى أنَّ التحول الذي حدث له كان يوم مرا على خرابة (مسكونة) -أي يعتقد أنّها من أماكن وجود الجن - فارتجف وصرخ ثمّ مرض وحينما قام من مرضه كانت أسنانه قد سقطت إلّا واحدة أعلى فكه وأخرى في أسفله[52]، فهنا يوحي الراوي بأنّ الزين أصابه مسّ من الجن فأمرضه وغيّر هيئته، وبذلك يمكننا أن نفهم جزءاً من غرابته، ولكننا لن نستطيع أن نجزم أنّه إنسان ممزوج بالجن، ولا أن نعرف ما صلة ذلك بحب الحنين له؟، فالحنين رجل صالح ولم يكن يأنس لشخص ويميل له ويتحدث معه غير الزين، فإذا لقيه في الطريق عانقه وقبله وكان يناديه "المبروك"،[53] وهذا يضعف تصور الزين إنساناً ممسوساً، فتبرز شخصية الزين الإنسان المبارك.

إذن الزين شخصية غريبة تتأرجح في غرابتها بين عالم الجن وعالم الصلاح، وهذا التأرجح هو الذي أوجد استغراب أهل القرية، فجعلوا يفترضون : "لعلّه نبيّ الله الخضر، لعلّه ملاك أنزله الله في هيكل آدمي زري، ليذكر عباده أنّ القلب الكبير قد يخفق في الصدر المجوف والسمت المضحك كصدر الزين وسمته"[54].

وهذا التقارب بين الإنسان الذي أصابه مسّ من الجن، والإنسان الصالح المشبّه بنبيّ الله الخضر، يحدث تشويقاً في الشخصية فيزيد من غرابتها ويبعدها عن عالم الإنسان الطبعي، لكنّ الراوي سرعان ما يرجع بالصورة إلى عالم الإنسانية فيعكس الزين إنساناً له عين بصيرة تدرك مواطن الجمال، ومشاعر ملتهبة لا تتوانى في الانطلاق معبرة عن ذاتها فكثيراً ما يسمعه أهل القرية صائحا: "يا أهل الفريق، يا ناس الحلة أنا مكتول ..."[55]، فيدركون أنه وقع في قلبه حب فتاة جميلة، ثم يختصر المؤلف مشوار الباحث عن حقيقة الزين فيقول: "فتتحطم الصورة وتعود صورة الزين التي يألفها الناس ويؤثرونها".[56]

لكن حتى تلك الصورة التي يؤثرونها لم تكن صورة بشر عادي؛ بل كانت تحمل كثيراً من مظاهر الغرابة كتلك التي تظهر في مقدمه إلى بيت العرس؛ فهو لا يأتي ككل الناس فحين مقدمه "ينشق الليل عن نداء يعرفه الناس كلهم: عوك يا أهل العرس، يا ناس الرقيص الزين جاكم، وإذا بالزين قد قفز في الفضاء واستقر في حلقة الرقص، ويفور المكان فجأة فقد نفث فيه الزين طاقة جديدة."[57]

وتزداد الصورة غرابة إذ يصف الراوي الزين بعد أن مكث فترة في مستشفى مروي مستشفياً، فيقول: "ولمّا عاد الزين من المستشفى حيث ظلّ أسبوعين كان وجهه نظيفاً يلمع، وثيابه بيضاء ناصعة، وضحك فلم ير الناس -كما عهدوا- سنين صفراوين في فمه، ولكنّهم رأوا صفاً من الأسنان اللامعة في فكه الأعلى، وصفاً من أسنان كأنّها من صدف في فكه الأسفل، وكأنّما الزين تحوّل لشخص آخر"[58].

وفي الزين ملمح آخر يرسمه الراوي فيظهر في صاحبه قوة خارقة تظهر في مواقف مختلفة منّها ما شهده الناس وقتما أمسك بسيف الدين وألقى به على الأرض، فيصف الراوي تلك القوة فيقول: "تدفقت في جسم الزين النحيل قوة مريعة جبارة لا طاقة لأحد بها. أهل البلد جميعا يهابونها، وأهل الزين يبذلون جهدهم حتى لا يستعملها الزين ضد أحد"[59]، تلك القوة التي يستدلون عليها بحادثة يوم أمسك بقرني ثور جامح وطرحه مهشم العظام، ثم بأخرى حينما قلع شجرة سنط كأنها عود ذرة[60].

إنّ شخصية الزين التي صُوّرت في ملامح مختلفة، تظهر غريبةً بدرجة تجعل المتلقي يبحث عن مصادر غرابتها، فينظر في ثقافة المؤلف، وفي البيئة التي استمد منها روايته هذه، فتظهر له الأسطورة المرتبطة بغرائب الأشياء مثل المساكن المهجورة التي يسكنها الجنّ، وما يمتد من ذاك الاعتقاد ممزوجاً بالمعتقدات المحيطة بعالم

DOI: 10.33193/JALHSS.51.2020.60
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (51) Abril 2020
العدد (51) ابريل 2020

الجنّ وإصابته البشر ببعض التغيرات، وهذه الأساطير شيء مشوّق ومثير، وتمثّل تياراً فنياً غذّى شخصية الزين بكلّ تلك الأبعاد، وصورها بطلاً غريباً، يجذب المتلقي للبحث عن مكنونه، فيسير معه بروح تتوقع كلّ غريب منه.

كذلك يُلحظ أنّ الراوي اعتمد أسلوب المبالغة في تصوير قوة الزين الخارقة، وهذه المبالغة في التصوير، تأتي من النَّفَس الشعبي الذي يميل لهذا النوع من الصور، وهو ممّا يوجد - أيضاً - في بيئة المؤلف، التي تميل لمثل هذه المبالغات في قصصها؛ فهي تمثّل روح القصص الشعبي.

ونجد في شخصية الزين ملمحاً من ملامح الغرابة يظهر في الاعتقاد أنّه وليّ صالح، رغم وجود أحداث كثيرة تشير إلى أنّه ليس بالرجل المتدين؛ فهو يبدو عابثاً مستهتراً، لا يتورَّع في لمس النساء مغازلاً، أو واصفاً إياهنّ بأوصاف حسيّة، وألفاظ سوقية[61]، لكنّ كلّ هذه الأشياء التي تخالف صورة الشخصية المتدينة، لم تنف الاعتقاد بصلاحه، ذلكم أنّ أهل القرى يعتقدون بولاية مثل هذه الشخصيات، وهذا أمر وقف عنده الأستاذ محمد حسن عبدالله في حديثه عنّها في القرى العربية فأشار إلى أنها : "تعتبر هذا الصنف من أهل الولاية والكرامة استناداً إلى البراءة والطفولة الدائمة، والابتلاء القدريّ وارتباطه في الموروث الديني بالاصطفاء"[62]، وهي صورة راسخة في الأذهان مستمدة من ثقافة قديمة ذكرها ابن خلدون في المقدمة، فقال: "ومن هؤلاء المريدين من المتصوفة قوم بهاليل معتوهون، أشبه بالمجانين من العقلاء، وهم مع ذلك قد صحت لهم مقامات الولاية، وأحوال الصديقين، وعلم ذلك من أحوالهم من فهم عنهم من أهل الذوق، مع أنهّم غير مكلفين، ويقع لهم من الأخبار عجائب، لأنّهم لا يتقيدون بشيء، فيطلقون كلامهم في ذلك، ويأتون منه بالعجائب."[63]

إنّ ما قاله ابن خلدون يشبه شخصيّة (الدرويش) التي ذكرها الراوي - عرضا - في حديث أم إحدى الفتيات وهي تستنكر وقوف بنتها مع الزين، وتصفه بالدرويش[64].

أمّا الشخصيّة الغريبة الثانية فهي (الحنين)، فهو رجل، عابد زاهد، يظنّ به النّاس الصلاح، ويصفه الراوي فيقول: " كان رجلاً صالحاً منقطعاً للعبادة، يقيم في البلد ستة أشهر في صلاة وصوم، ثم يحمل إبريقه ومصلاته ويضرب في الصحراء ويغيب ستة أشهر، ثم يعود ولا يدري أحد أين ذهب، ولكن الناس يتناقلون قصصاً غريبة عنه، يحلف أحدهم أنّه رآه في (مروي) في وقت معين، بينما يقسم آخر أنه شاهده في (كرمة) في ذات الوقت، وبين البلدين مسيرة ستة أيام، ويزعم أناس أنّ الحنين يجتمع برفقته الأولياء الصالحين الذين يضربون في الأرض يعبدون، والحنين قلّما يتحدث مع أحد من أهل البلد، وإن سئل أين يذهب ستة أشهر كل عام؟ لا يجيب، ولا أحد يدري ماذا يأكل وماذا يشرب، فهو لا يحمل زاداً في أسفاره الطويلة".

ومن هذا الوصف نجد الراوي قد حدّد أنّ الحنين رجل صالح، تتصف شخصيته بصفات الوليّ الصالح عند المتصوفة، وبهذا تكون غرابته مستمدة من غرابة شخصية الوليّ عند المتصوفة، وهي شخصية مألوفة من حيث تداول أخبارها ومعرفة النّاس بها، لكنّها تحتوي على غرابة غير المألوف في حياة النّاس عامة، وتحيطها تصورات مزيج من الكرامات والمبالغات، فمن المعقول أن يغيب رجل فينقطع للعبادة زمناً، ولكن من الغريب أن يرى في أكثر من مكان في لحظة واحدة، ومهما كان من تخريج لهذ الأمر، فإنّه يظل غريباً.

وحينما نربط شخصية الحنين بالزين نجد الزين محباً لشيخه الحنين، كما تظهر في شخصية الحنين محبته للزين، يقول الراوي: "ولكنّ في البلد إنساناً واحداً يأنس إليه الحنين ويهش له ويتحدث معه، ذلك هو الزين، كان إذا قابله في الطريق عانقه وقبله على رأسه وكان يناديه "المبروك" وكان الزين أيضاً إذا رأى الحنين مقبلاً ترك عبثه وهذره وأسرع إليه وعانقه، ولم يكن الحنين يأكل طعاماً في بيت أحد إلا دار أهل الزين"[65]، وصورة الحنين عند الزين شبيهة بصورة الزين عند الحنين فإذا سئل الزين عن سر الصداقة بينه وبين الحنين يجيب بقوله: "الحنين راجل مبروك"، وهو ذات ما يقوله الحنين عنه.

ومن ملامح الغرابة التي تظهر في شخصية الحنين كونه يمثل منقذاً في اللحظات الحرجة فحينما عجز كل الحضور في إنقاذ سيف الدين من قبضة الزين جاء الفرج لسيف الدين في صوت الحنين، ما يصوره الراوي: "لكن صوت الحنين ارتفع هادئاً وقوراً فوق الضجة : الزين المبروك، الله يرضى عليك"[66]، ثم يكمل المشهد "انفكت قبضة الزين ووقع سيف الدين على الأرض هامداً ساكناً، ووقع الرجال الستة دفعة واحدة، فقد فاجأهم صوت الحنين وباغتهم الزين بسكونه المفاجئ.."[67].

DOI: 10.33193/JALHSS.51.2020.60
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (51) Abril 2020
العدد (51) ابريل 2020

وتقوى ملامح الرجل الصالح في شخصية الحنين التي تتخلل السرد حينما يصرّح بها الراوي وهو يصف الخير الذي عمَّ البلد بعد حادثة الزين وسيف الدين ودعوة الحنين للجميع بالبركة، فيقول: "بعد ذلك توالت الخوارق معجزة تلو معجزة بشكل يخلب اللب، لم تر البلد في حياتها عاماً رخياً مباركاً مثل عام الحنين"[68].

ويلاحظ أنّ التيارات التي غذّت خيال الراوي في رسم صورة الحنين هي ذات التيارات التي غذّته في رسم صورة الزين، ولا غرو فالشخصيتان فيهما لمحة التصوف وخوارق الأشياء، ويدعمهما النفَس الشعبي الذي يميل لتصديق هذه الأشياء، وهو نفَسٌ موجود في القرى السودانية موروث من ثقافة دينية يعزوها الدكتور عبده بدوي للمزج الشديد بين العروبة والزنجية، فيقول: "ولد خط روحي حفر عميقاً وما زال في النفسيّة السودانيّة، وهو عالم التصوف، وقد اختلطت فيه الظواهر الإسلاميّة بظواهر العرافة والكجور"[69].

وقريب من هذا ما يراه عبد الهادي الصديق الذي يقول: "لقد حفل التاريخ الوثني السوداني بطاعة المعبود والولاء له ممّا أكسب الناس استعداداً فطرياً لقبول فكرة التصوف، مادامت تعبّر عن نفس الأبعاد الروحيّة"[70]، ثمّ يربط ذلك بشخصية الشيخ فيقول: "فاحتل شيخ الطريقة الصوفية مكان الكاهن في هذا النظام"[71]، ولكن ليست الصورة مستمدة من هذا الجانب فقط فللتصوف امتداد في الثقافة الإسلامية غير المختلطة بالثقافات السودانية القديمة، يقول ابن خلدون: "وكذلك أهل الرياضات من المتصوفة لهم مدارك في الغيب على سبيل الكرامة معروفة "[72] ، وكلّ هذه العوالم منفردة أو مختلطة، فيها تصورات الخوارق والغرائب.

ومن الشخصيات الغريبة نعمة بنت عم الزين وزوجته في نهاية الرواية، التي توصف بأنّها: "صبية حلوة، وقورة المحيّا، غاضبة العينين، تراقب الزين في عبثه ومزاجه وهزاره، وجدته مرة ومجموعة من النساء يتضاحكن كعادته، فانتهرته..."[73] ، ثمّ "حدقت النساء بعينيها الجميلتين، سكت الزين عن الضحك وطأطأ رأسه حياءً ثم انسّل من بين النساء ومضى في سبيله"[74].

هذه الصبية الحازمة التي تمارس الرقابة على ابن عمها، في مجتمع قرويّ ليس للمرأة فيه سلطة على الرجل، التي لها القدرة على حسم عبثه بانتهاره، فيستجيب لها ويغادر المكان، شخصية غريبة على بيئتها، ولكنّ الغرابة فيها لم تقف عند هذا الحد فقد سارت معها في ملامح أخرى، فهي صبية تدرس القرآن مع الأولاد، وتتمرد على اختيارات الأسرة في الأزواج، ما أشار إليه الراوي بقوله: "ولما جاءت آمنة إلى سعديّة (أم نعمة) في أمر زواج نعمة من أحمد قالت لها سعديّة: "الشورى عند أبو البت"، كانت تعلم في قرارة نفسها أن الرأي لا لأحد غير نعمة نفسها، وكان لا بدّ من خيارها"[75]، فوالدة نعمة تعلم أنّ نعمة صاحبة رأي ولا أحد يستطيع أن يغصبها على ما لا تريد، ليس ذلك بسبب ضعف الأب ولا بسبب تقديره لمساحات حرية البنت في الاختيار، ولكن لسبب آخر، ذلك السبب يظهر حينما تقدم إدريس الشاب المتعلم حسن السيرة، دمث الأخلاق لخطبتها، وكان أبوها وإخوانها الثلاثة يميلون لقبوله، بيد أنّ نعمة كان لها رأي غير ذلك فرفضته[76]،ثمّ يكمل الراوي المشهد، فيقول: "واجتهد حاج إبراهيم في كلامه معها وهمّ بصفعها، ولكنّه توقف فجأة، شيء ما في محيّا تلك الفتاة العنيدة قتل الغضب في صدره، لعلّه تعبير عينيها، لعلّه التصميم الرزين على وجهها"[77]، ثم يجتهد الراوي في تفسير ذلك موحياً بشيء غير ملموس يأتي من عالم الإحساس فيقول: "كأنمّا أحسّ الرجل بأن هذه الفتاة ليست عاقة ولا متمردة ولكنّها مدفوعة بإيعاز داخلي على أمر لا يستطيع أحد ردها عنه"، ثم ينتهي إلى الأمر الذي استقر عليه حال نعمة في الزواج بعد تلك اللحظة فيقول: "ومن يومها لم يكلمها أحد في الزواج".

وقوة شخصية نعمة تقرأ مقرونة بثقافتها واعتقاداتها، فهذه قوة مستمدة من اعتقاد قوي يتحكم فيها، فقد "كانت نعمة حين تفرغ إلى نفسها وأفكارها ويخطر على ذهنها خواطر الزواج، كانت واثقة أنّ الزواج سيجيئها من حيث لا تحتسب، كما يقع قضاء الله على عباده، مثلما يولد الناس ويموتون مثلما يفيض النيل، وتهب العواصف، ويثمر النخل كلّ عام، كما ينبت القمح ويهطل المطر، وتتبدل الفصول كذلك سيكون زواجها، قسمة قسمها الله لها قبل أن تولد، وقبل أن يجري النيل، وقبل أن يخلق الله الأرض وما عليها"[78].

لقد كانت نعمة تستوحي فكرتها من إيمانها بقدر الله، ويقينها بقسمة آتية من عالم الغيب، لا تشك في مقدمها.

وواضح أن الغرابة في شخصية نعمة مستمدة من المقارنة بما هي عليه، وما يرجى من المرأة في مجتمع القرية الذي يصوره الراوي في (عرس الزين).

إنَّ التيار الرئيس الذي غذّى شخصية نعمة تيار إسلامي مستمد من ثقافة قرآنية وفكر قدري صادق وإحساسٍ صوفيٍّ عند أبيها، وتقديرٍ من أخوتها.

DOI: 10.33193/JALHSS.51.2020.60
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (51) Abril 2020
العدد (51) ابريل 2020

وفي نعمة يظهر ملمح آخر للمرأة في مجتمع قرية الزين، كما يظهر ملمح آخر للتدين ذي البعد الفكري لا الصوفي، ومنطلقات عقدية إيمانية تؤمن بالغيب ولا توغل في المبالغات الناجمة من الأساطير، واعتقاد الكرامات، وخوارق العادات.

والناظر لشخصية نعمة من خلال المرأة في غالب المجتمعات ربما لا يجد فيها غرابة، لكنّه يجدها حينما ينظر إليها من خلال بيئتها التي تظهرها الرواية، تلك البيئة التي تقرر أن الرأي عند الأب[79]، ويذهل فيها الأب إذا حدثته بنته حديثا ناضجا جريئا[80]، فغرابتها تمثل ظهور المألوف في سياق غير مألوف.

أمّا الشخصية الأخيرة، فسيف الدين الذي حكم بغرابته مجتمع القرية المحافظ يوم كان شخصاً فاسقاً، وبدد ثروة أبيه في اللهو مع الجواري وفي الخمر، ما عبّر عنه الراوي بقوله: "كان نوعا من الناس لم يعرفه أهل البلد في حياتهم، كانوا يجافونه كما يجافى المريض بالجذام"[81]، وهو في حياة فسوقه تلك، كان مثلاً لإنسان شاذ في السلوك، ثم ما يلبث أن يتحول لشخصية أخرى مخالفة لما كان عليه سابقاً، فقد أصبح متديناً وملتزماً بالصلاة بالمسجد، وعزم على الحج، وقد كانت كلّ خطوة في حياته الجديدة تشكّل صورة غريبة في مجتمع عرفه فاسقاً، فقد تحول الغريب السيء في شخصيته مألوفاً فيها، حتى غدا الجديد الحسن فيها غريباً، وعُدّت توبته تحولاً مفاجئاً لم يتوقعه الناس، ما عبّر عنه الراوي بقوله: "وبينما البلد بأسرها تضج من ذلك البلاء الذي اسمه سيف الدين، إذا به فجأة بعد حادثة الحنين، يتغيّر كأنّه ولد من جديد"[82]، بل وعدت توبته معجزة، حيث يقول الراوي:" كانت معجزة سيف الدين بداية أشياء غريبة تواردت على البلد في ذاك العام"[83].

وربّما لا يرى الناظر لشخصية سيف الدين غرابة، فهو شاب فاسق، يحب اللهو ويسلك مسالك الهوى، ثم إنّه تاب بعد ذلك والتزم بدينه، وهذه حالة مكرورة في المجتمعات، يستنكرها الناس ولا يقبلونها، ولا يصح أن يتصالحوا معها لدرجة الألفة، لكنها غريبة في المجتمعات المحافظة على قيمها الدينية مثل قرية الزين، ولذلك تناولها الرواة بروح الاستنكار والدهشة والإحساس بالغرابة.

الخاتمة

وبعد، فإنّ ظاهرة الغرابة من الموضوعات التي قلّ تناولها في الأدب العربي، وشاب مفهومها بعض الغموض، فالترجمات المختلفة أوجدت اختلافات في المصطلح الذي يوضّح المعنى العربي المراد، ولذلك كان لا بدّ من التزام مفهوم يحقق هدف الباحث من هذه الدراسة؛ فأخذ الباحث الغرابة بمعنى (غير المألوف)، بنوعيه: غرابة المألوف وغرابة غير المألوف، ونظر لها في شخصيات رواية عرس الزين، فظهرت في شخصية الزين بطل الرواية، ثم الشيخ الحنين، ونعمة، وسيف الدين.

وقد لاحظ الباحث أنّ المؤلف عالج تلك الشخصيات مستنداً على إرث ثقافي بيئي، أساسه المعتقدات الدينية، والتصورات الصوفيّة، والأساطير الشعبيّة، فشكّل الدين الإطار الثقافي الذي دارت داخله تلك الشخصيات وغرابتها، كما لاحظ أنّ الكاتب يعمد لإظهار الغرابة، إما من خلال الأحداث أو من خلال تعليق مباشر، وكأنّما عمد إلى جعل الرواية تدور حول هذه الظاهرة، ويرجح الباحث أنّ ذلك من أثر بيئة التصوف على شخصية المؤلف.

وقد استنتج الباحث الآتي:

1. عالج المؤلف الشخصيات من خلال الموروث البيئي المحيط به، حيث تصور دور كل واحدة منها من خلال البيئة فظهر فيها الغريب وغير الغريب.
2. ظهرت الغرابة في بعض شخصيات الرواية، من خلال خروجها عن المألوف في مجتمعها، فكانت غرابة غير المألوف - مطلقا- التي ظهرت في شخصية الزين، وغرابة غير المألوف في سياق مألوف، التي تمثلت في شخصية الحنين، كما نجد الغرابة في شخصية نعمة وسيف الدين غرابة مألوف في سياق غير مألوف.
3. أسهمت الثقافة المبنية على المفهومات الدينية والمحافظة الاجتماعية، في ظهور غرابة الشخصيات، وقد كان للتصورات الصوفيّة، والأساطير الشعبيّة دورٌ في ذلك.
4. الغرابة شيء نسبيّ يختلف من مجتمع لآخر، تتحكم فيه معتقدات المجتمعات، وثقافاتها، وقيمها.

إنّ الغرابة من الموضوعات التي تحتاج لمزيد من الدراسات، كما أنّ روايات الطيب صالح أيضا تحتاج لدراسات كثيرة، ولذلك يوصي الباحث بتقديم دراسات تعالج الموضوعين، ويقترح الموضوعات الآتية:

- الغرابة في شخصيات روايات الطيب صالح.

DOI: 10.33193/JALHSS.51.2020.60
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (51) Abril 2020
العدد (51) ابريل 2020

- الغرابة في أحداث روايات الطيب صالح.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش

1 - شاكر عبد الحميد، الغرابة: المفهوم وتجلياته في الأدب، عالم المعرفة، الكويت، 1433هـ - 2010م، ص7.
2 - المرجع السابق، الصفحة نفسها.
3 - المرجع السابق، ص22.
4 - المرجع السابق، ص 71.
5 - عبد الفتاح كيليطو، الغرابة (دراسة بنيوية في الأدب العربي)، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط3، 2006م، ص69.
6 - المرجع السابق، الصفحة نفسها.
7 - شاكر عبد الحميد، الغرابة: المفهوم وتجلياته في الأدب، مرجع سابق، ص83.
8 - عبد المنعم عجب الفيا، في عوالم الطيب صالح (قراءات نقدية)، ط1، 2010م، ص9.
9 - المرجع السابق ص10.
10 - عون الشريف قاسم، الإسلام والعروبة في السودان- دراسات في الحضارة واللغة، دار الجيل، بيروت –دار المأمون، الخرطوم، ط1، 1409هـ 1989م، ص 32.
11 - الطيب صالح، الأعمال الكاملة، دار العودة، بيروت، 1996م، الصفحات: 8،7.
12
13 - محمد حسن عبد الله، الريف في الرواية العربية، عالم المعرفة، 1989م، ص 247.
14 - طه عمران، القصة بين التراث والمعاصرة، د. طه عمران، نادي القصيم، بريدة، ط1، 1421هـ، ص 102.
15 - الطيب صالح، بندرشاه - ضو البيت، دار الجيل، بيروت، ط1 1417هـ -1997م، ص12.
16 - المرجع السابق، ص51.
17 - حلمي محمد القاعود، النقد الأدبي الحديث (بداياته وتطوره)، دار النشر الدولي للنشر والتوزيع، 1427هـ - 2006م، ص334.
18 - الطيب صالح، موسم الهجرة إلى الشمال، دار العودة بيروت، ط14، 1987م، ص1987م، ص6.
19 - - روجر آلان، الرواية العربية، ترجمة حصة إبراهيم المنيف، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1997، ص272.
20 - المرجع السابق، ص229.
21 - الطيب صالح، دومة ود حامد، دار الجيل، بيروت، ط1، 1417هـ 1997م، ص47.
22 - الطيب صالح دومة ود حامد، مرجع سابق، ص53.
23 - روجر آلان، الرواية العربية، مرجع سابق، ص227.
24- عبد المنعم عجب الفيا، في عوالم الطيب صالح – قراءات نقدية، مرجع سابق، ص12.
25 - الطيب صالح، الأعمال الكاملة، مرجع سابق، ص6.
26- عبد المنعم عجب الفيا، في عوالم الطيب صالح – قراءات نقدية، مرجع سابق ص 10.
27 - الطيب صالح، عرس الزين، دار الجيل للطباعة والنشر، بيروت، (ب، ت)، ص 22.
28 - المرجع السابق، الصفحة نفسها.
29 - ا لمرجع السابق، ص111.
30 - المرجع السابق، ص59.
31 - المرجع السابق، ص 35.
32 - المرجع السابق، الصفحات: 79، 80.
33 - المرجع السابق، ص3.
34- - المرجع السابق، ص 75.
35 - - المرجع السابق، ص107.
36 - المرجع السابق، ص78.
37 - المرجع السابق، الصفحة نفسها.
38- المرجع السابق، ص9.
39 - المرجع السابق، ص44

DOI: 10.33193/JALHSS.51.2020.60
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (51) Abril 2020
العدد (51) ابريل 2020

40- المرجع السابق، الصفحة السابقة نفسها.
41 - المرجع السابق، ص48.
42- المرجع السابق، ص62.
43- المرجع السابق، ص60.
44- المرجع السابق، ص62.
45 - المرجع السابق، ص64.
46 - علي عبيد، مقاربات سردية، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط1، 2014م، ص 114.
47- محمد حسن عبد الله، الريف في الرواية العربية، مرجع سابق، ص250.
48 - الطيب صالح، عرس الزين، مرجع سابق، ص79.
49 - علي بن محمد الجواد، الرواية التاريخية في الأدب السعودي الحديث، الرياض، 1434هـ - 2013م، ص79.
50 - شاكر عبد الحميد، الغرابة: المفهوم وتجلياته في الأدب، مرجع سابق، ص 9.
51 - الطيب صالح، عرس الزين، مرجع سابق، ص7.
52 - المرجع السابق، ص 7.
53 - المرجع السابق، ص23.
54 - المرجع السابق، ص 25.
55 - المرجع السابق، ص17.
56 -المرجع السابق، ص25.
57- المرجع السابق، ص39.
58 - المرجع السابق، ص41.
59 - المرجع السابق، الصفحات: 43، 44.
60 - المرجع السابق، ص44.
61 - الطيب صالح، عرس الزين، مرجع سابق ص42.
62 - محمد حسن عبد الله، الريف في الرواية العربية، مرجع سابق، ص247.
63- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار صادر، بيروت، ط2، 2009، ص89.
64 - الطيب صالح، عرس الزين، مرجع سابق، ص18.
65 - الطيب صالح، عرس الزين، مرجع سابق، ص23.
66 - المرجع السابق، ص45.
67 - المرجع السابق، الصفحة نفسها.
68 - المرجع السابق، ص62.
69 - عبده بدوي، الشعر في السودان، عالم المعرفة، 1989م، ص9.
70 - عبد الهادي الصديق، أصول الشعر السوداني، دار جامعة الخرطوم للنشر، الخرطوم، ط2، 1989م، ص80
71- المرجع السابق ص81.
72- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، مرجع سابق، ص85.
73- الطيب صالح، عرس الزين، مرجع سابق،25.
74 - المرجع السابق، الصفحة نفسها.
75 - المرجع السابق، ص34.
76 - المرجع السابق، ص35.
77 - المرجع السابق، الصفحة نفسها.
78 - المرجع السابق، الصفحات: 35،36.
79 - المرجع السابق، ص28.
80 - المرجع السابق، 33.
81 - المرجع سابق، ص57.
82 - المرجع السابق، ص 58.
83 - المرجع السابق، ص60.

DOI: 10.33193/JALHSS.51.2020.60
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (51) Abril 2020
العدد (51) ابريل 2020

المصادر والمراجع

1. الطيب صالح، موسم الهجرة إلى الشمال، دار العودة، بيروت، ط14، 1987م.
2. الطيب صالح، الأعمال الكاملة، دار العودة، بيروت، 1996م
3. الطيب صالح، دومة ود حامد، دار الجيل، بيروت، ط1، 1417هـ - 1997م.
4. الطيب صالح، بندرشاه - ضو البيت، دار الجيل، بيروت، ط1، 1417هـ -1997م.
5. الطيب صالح، عرس الزين، دار الجيل للطباعة والنشر، بيروت، بدون تاريخ
6. حلمي محمد القاعود، دكتور، النقد الأدبي الحديث (بداياته وتطوره)، دار النشر الدولي للنشر والتوزيع، 1427هـ - 2006م.
7. عبد الفتاح كيليطو، الأدب والغرابة (دراسة بنوية في الأدب العربي)، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط3، 2006.
8. عبد المنعم عجب الفيا، في عوالم الطيب صالح (قراءات نقدية)، ط1، 2010م.
9. عون الشريف قاسم، الإسلام والعروبة في السودان- دراسات في الحضارة واللغة، دار الجيل، بيروت - دار المأمون، الخرطوم، ط1، 1409هـ- 1989م.
10. 10-علي بن محمد الجواد، دكتور، الرواية التاريخية في الأدب السعودي الحديث، الرياض، 1434هـ - 2013م.
11. علي عبيد، دكتور، مقاربات سردية، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط1، 2014م، ص 114
12. محمد حسن عبد الله، دكتور، الريف في الرواية العربية، عالم المعرفة، الكويت، 1989م.
13. طه عمران، دكتور، القصة بين التراث والمعاصرة، نادي القصيم، بريدة، ط1، 1421هـ.
14. عبد الهادي الصديق، أصول الشعر السوداني، دار جامعة الخرطوم للنشر، الخرطوم، ط2، 1989م.
15. عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار صادر، بيروت، ط2، 2009م.
16. عبده بدوي، دكتور، الشعر في السودان، عالم المعرفة، الكويت،1989م.
17. شاكر عبد الحميد، دكتور، الغرابة : المفهوم وتجلياته في الأدب، عالم المعرفة ، الكويت، 1433هـ - 2010م.

DOI: 10.33193/JALHSS.51.2020.60
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (51) Abril 2020
العدد (51) ابريل 2020

References

1. Al-Tayeb Salih, Season of Migration to the North, Dar Al-Awda, Beirut, 14th edition, 1987 AD.
2. Al-Tayeb Saleh, Complete Works, Dar Al-Awda, Beirut, 1996
3. Al-Tayyeb Salih, Duma and Hamed, Dar Al-Jeel, Beirut, 1st ed, 1417AH-1997AD.
4. Al-Tayeb Salih, Bandarshah - Daw Al-Bayt, Dar Al-Jeel, Beirut, 1st ed, 1417AH-1997 CE.
5. Al-Tayeb Salih, Al-Zain Wedding, Dar Al-Jeel for Printing and Publishing, Beirut, without date
6. Helmy Muhammad Al-Qaoud, Doctor, Modern Literary Criticism (Its beginnings and development), International Publishing House for Publishing and Distribution, 1427 AH - 2006 AD.
7. Abdel-Fattah Kelaito, Literature and Strangeness (a structural study of Arabic literature), Toubkal Publishing House, Casablanca, 3rd floor, 2006.
8. Abdel Moneim Ajab Alfia, in the worlds of Tayyib Salih (critical readings), 1st edition, 2010 AD.
9. Aoun Al-Sharif Qassem, Islam and Arabism in Sudan - Studies in Civilization and Language, Dar Al-Jeel, Beirut - Dar Al-Mamoun, Khartoum, 1st edition, 1409 AH - 1989 AD.
10. 10 - Ali bin Muhammad Al-Jawad, Dr., the historical novel in modern Saudi literature, Riyadh, 1434 AH - 2013 AD.
11. Ali Obaid, Doctor, Narrative Approaches, Arab Publishing Organization, Beirut, 1st edition, 2014AD, p. 114
12. Muhammad Hassan Abdullah, Doctor, Al-Reef in the Arabic Novel, The World of Knowledge, Kuwait, 1989.
13. Taha Imran, Doctor, The Story between Heritage and Contemporaryity, Al-Qassim Club, Buraidah, I 1, 1421 AH.
14. Abdul Hadi Al-Siddiq, The Origins of Sudanese Poetry, University of Khartoum Publishing House, Khartoum, 2nd edition, 1989 AD.
15. Abdul Rahman bin Muhammad bin Khaldoun, Introduction to Ibn Khaldun, Dar Sader, Beirut, 2nd edition, 2009 AD.
16. Abdo Badawi, Doctor, Poetry in Sudan, The World of Knowledge, Kuwait, 1989.
17. Shaker Abdul Hamid, Doctor, Strangeness: The Concept and its Manifestations in Literature, The World of Knowledge, Kuwait, 1433 AH - 2010 AD.